

القسم الأول

اللغة العربية ومواقف تعليمها

- مقدمة عن اللغة بعامة .
- اللغة العربية وأهميتها وتطور تعليمها .
- تدريس القصص .
- تدريس القراءة .
- تدريس الكتابة والتعبير .
- تدريس الأدب والنقد والبلاغة .
- تدريس القواعد النحوية .
- الوسائل التعليمية وتدريس اللغة العربية :
- خاتمة « أمثلة تطبيقية » .

obeikandi.com

الفصل الأول

مقدمة عن اللغة بعامة

- معنى اللغة .
- نشأتها الأولى وتشعبها إلى لغات .
- وظائف اللغة بعامة واللغة العربية بخاصة ودورها في بناء المجتمع

obeyikandi.com

معنى اللغة ونشأتها

اللغة بمعناها الواسع أداة التفاهم ووسيلة التعبير عما بالنفس بين طوائف مخلوقات . فالطيور بفصائلها المتعددة لها وسائل تعبيرية يتعارف عليها أفراد كل فصيلة ويستجيب أحدها للآخر استجابات مختلفة تبعاً لتمازج الاختلاف التي تشمل عليها وسيلتهم في التفاهم ونقل المعارف والمشاعر ، ألا ترى إلى بعض أنواع العصافير تصدر أصواتاً خاصة عند التجمع فيليبها الجميع ، وأصواتاً مختلفة تستعدي بها أفراد الفصيلة على عدوداهم ، فلا يابث المستمدي طويلاً حتى يجرد حوله ومعه جمعاً غفيراً من بني جنسه ، وأصواتاً نالته لها سمات خاصة إذا التقى الذكر بالأنثى فيستجيب أحدهما للآخر استجابات فيها معنى الود والتعاطف والتآلف . . . وهكذا . . . وقد توصلت مجموعة من علماء الطيور في ألمانيا الغربية إلى وضع أول موسوعة تحتوي على ٢٥ كلمة من لغة الطيور؛ تم تحديدها طبقاً للأصوات المختلفة التي تصدر عن كل طائر . . . وقد استخدم العلماء في إعداد هذه الموسوعة أجهزة تسجيل حساسة. (١)

والحيوانات بأنواعها المختلفة يتفاهم أفراد كل منها بلغة خاصة به وإن لم تكن ذات مقاطع وحرروف وكلمات . ومن ثم تجد القطعة تصدر صوتاً متميزاً عند المشاجرة مع غيرها من القطط ، وعند الإحساس بالخطر ، وتموء مواء معيناً عندما تنادي الذكر فيستجيب لها . . . وعلى أساس من وسائل التفاهم تصدر الأبقار خوارها والذئاب عواها وتصورها وتلعنعا ، والكلاب نباحها وضغاءها ووقوقها وهديرها ، والشياب نغاءها ، والأسود زئيرها ، والبغال شحيعها ، والحمير نيقها ، والحمام هديره والحيات فحيعها وكشيشها وحفيفها ، والغربان نعيقها ، والضفادع نقيقها . . . « ولقد قام العالم الألماني د . فرايناج ببحث حول لغة الأسماك فنجح في تسجيل أحاديث مختلفة لها. » (٢)

(١) كمال الملاخ ، « من غير عنوان » ، الأهرام ، (٢٦ فبراير سنة ١٩٧٦) .

(٢) نفس المرجع (١٩٧٦) .

وهناك من وسائل التعبير بين الطيور والحيوانات ما لا يتم على أصوات بل يؤدي وظيفته بالحركة أو اللمس أو الشم أو نحو ذلك . فقد أثبتت الدراسات التي قام بها « فون فريتش » الألماني وغيره من العلماء على لغة النحل أن النحلة عن طريق الرقص أو التحرك في دوائر ضيقة متتالية بكيفية معينة أو التحرك في اتجاه عمودي بصورة خاصة أو ما شابه ذلك ؛ تستطيع أن تنقل إلى زميلاتها المعلومات التي حصلت عليها خارج الخلية بمنتهى الدقة كأن يخبرهم بنوع الغذاء الذي عثرت عليه ومكانه ومدى بعده عن الخلية واتجاه السير نحوه وهكذا (١) .

وإشارة إلى هذه اللغة المنسوبة لغير الإنسان يقول القرآن الكريم « وورث سليمان داود وقال يأيتها الناس علمنا منطق الطير » . ولو لم يكن للطير لغة مفهومة بين أفراد أنواعه ما استطاع سليمان عليه السلام أن يتفاهم مع الهدهد بما يدل عليه السياق الذي حكاه القرآن في سورة النمل حيث يقول : « فكش (٢) غير بعيد ، فقال أوسط : ما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين ، إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ، وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون » إن أن قال : « قال (٣) سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين . اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم قول عنهم فانظر ماذا يرجعون » . وبوساطة اللغة التي يتفاهم بها النمل « قالت نملة يأيتها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون » ، وفهم سليمان عليه السلام ما تعنيه النملة بقولها « فتبسم ضاحكاً من قولها » . وربما كان قريباً من معنى اللغة الخاصة بغير

(١) محمد رشاد الطويبي ، طبائع النحل ، المكتبة الثقافية ، (أول فبراير ١٩٦٤) ،

ص ص ٦٧ - ٧٧

(٢) يعني الهدهد .

(٣) أي سليمان عليه السلام .

الإنسان قوله تعالى : « وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » .

وإذا انتقلنا إلى لغة الإنسان نجده قد تعارف على أنها العبارة التي يكشف بها المتكلم عن نفسه ويوضح بها مقصوده ، وهي تتميز بالمقاطع والحروف والكلمات والجمل ذات التركيب الخاص ، ولكن الدلائل تدل على أنها لم تكن على هذه الصورة يوم نشأت ، وذلك إذا تابعنا ما يقول علماء الاجتماع من أن القبائل البدائية التي تعيش في الوقت الحاضر بمثابة إلى حد ما أطوار البشرية الأولى أو قريباً منها نظراً لبعدها عن تيارات الحضارة التي اجتاحت الشعوب ، وأن الطفل في تطوره ونموه من المهد حتى يصير رجلاً سويماً يمثل الأطوار والمراحل التي مر بها الإنسان منذ فجر التاريخ حتى الوقت الحاضر . وإذا فلغة الإنسان الأولى قد بدأت بتلك النماذج اللغوية التي تسود في تلك القبائل والتي يتبدى بها الطفل حياته اللغوية . وقد وجد أن بعض قبائل الهنود الحمر وهم سكان أمريكا الأصليين وبعض قبائل سكان استراليا الأصليين وكذلك عشائر أفريقيا الوسطى يستخدمون في تفاهمهم وقضاء مصالحهم والتعبير عن أنفسهم لغة الإشارة ولا يكادون يستعملون غيرها . وروى عن قبائل الهنود الحمر أنه نظراً لتباين لهجاتهم ولغاتهم قد اصطنعوا لأنفسهم لغة عامة يفهمها جميعهم هي لغة الإشارة التي مهروا في استخدامها إلى حد بعيد حتى إن الواحد منهم يقضى النهار كله متفاهماً بها مع زملائه ناقلاً إليهم كل ما يريد أن ينقله من أفكار وحوادث (١) ، كما أن الطفل لا يبدأ لغته بالكلام المعروف ذي المقاطع والكلمات وإنما يبدأ معرفته اللغوية بمحاكاة أصوات الطبيعة حوله والاستعانة بالإشارات الحركية .

وطبقاً لهذه النظرية فإن لغة الإنسان قد بدأت بمحاكاة أصوات الطبيعة

(١) على عبد الواحد واني ، الهنود الحمر ، دار المعارف بصر ، سلسلة اقرأ ،

التي يعيش بين أعضائها ، فكان يسمع حفيف الشجر وخرير الماء وزججرة الرعد فيقلد هذه الأصوات دالاً بها على مصادر حدوثها . وكان تميز للحيوانات التي تعيش في بيئته أصواتاً مختلفة فيعبر عن كل منها بالصوت الذي يحدثه ، وكان يضرب فيسمع للضرب صوتاً مختلفاً عن صوت الكسر فلا يرى أبلغ في الدلالة على هذا وذلك مما يسمع لها من أصوات وهكذا . وقد استعان في بداية حياته اللغوية بالإشارات المفهومة جبراً لما يرى في لغته الصوتية من نقص أو دلالة مستقلة على ما لا يسمع الصوت في الدلالة عليه لعدم وجوده مثلاً . ثم تدرج الارتقاء اللغوي شيئاً فشيئاً يساير اتساع العمران وتعدد مظاهر الحضارة وارتقاء مستوى الرقي العقلي ومستعيناً بما زود به الإنسان من تركيب وبناء فسيولوجي يقدره على التلفظ بالمقاطع والحروف حتى وصلت في تطورها إلى هذا الاون اللغوي الذي نعرفه والذي يختص به الإنسان ولا ينازعه فيه منازع . وقد قال بهذا الرأي كثير من علماء اللغة المحدثين والقدامى ، منهم وتني whitney وغيره ، ومال إليه ابن جنى في كتابه الخصائص .

هذا وهناك ثلاث نظريات أخرى في نشأة اللغة : أولاهها تعزو النشأة إلى الإلهام الإلهي ، وثانيها ترجعها إلى المواضعة والاتفاق وارتجال الألفاظ ، ومن هؤلاء ابن سنان الخفاجي في كتابه سر البلاغة حيث قال في صفحة ٤٦ - ٤٧ « إن أصل اللغة مواضعة لا توقيف » ، وثالثها تميل إلى أن الفضل في نشأتها هي الغريزة الخاصة التي زود بها جميع أفراد النوع الإنساني مما يقدره على التعبير عن كل مدرك حسي أو معنوي بكلمة خاصة به .

ولم تحتفظ اللغة الإنسانية في تطورها بالوحدة التي بدأت بها ولكنها انشعبت إلى لغات متعددة وطبقات متباينة رجعها بعض العلماء إلى ثلاث فصائل ، الأولى فصيلة اللغة الهندية-الأوربية ، ومنها اللغة الفارسية والإنجليزية والفرنسية . والثانية فصيلة اللغات السامية - الحامية ، ومنها اللغة العربية واللغة العبرية ،

- والثالثة فصيلة اللغات الطورانية ومنها -- على ما قيل -- اللغة التركية . ويرجع السبب فى هذا الانشعاب والاختلاف إلى عوامل ثلاثة :
- ١ - البيئات المختلفة التى عاشت لغة الإنسان فيها .
 - ٢ - المساحات الشاسعة التى انتشرت بين ربوعها .
 - ٣ - الجماعات العديدة التى تحدثت بها (١) .

وظائف اللغة للفرد والجماعة

قبل أن نتكلم عن وظائف اللغة ينبغى أن نشير إلى الحقيقتين التاليتين :

أولاً : عندما نتحدث عن وظائف اللغة فإنما نعنى لغة الإنسان فى مظهرها الحضارى الذى انتهت به الآن فى سلم التطور والرقى ، وذلك لأن لغة الحيوان والطير ليست من التعقيد بحيث تستدعى الحديث عن وظائفها ، فهى لا تعدو أن تؤدى وظيفة واحدة هى التفاهم بين أفراد الفصيلة والتعبير عن الانفعالات التى تعبرى هؤلاء الأفراد .

ثانياً : لا نحاول عند الحديث عن وظائف اللغة التفرقة بين اللغة المكتوبة والمنطوقة والمسموعة ، وإنما نذكر الوظائف للغة بهذه الاعتبارات الثلاثة بغض النظر عن أن وظيفة بعينها تؤدىها اللغة باعتبار خاص .

وبهذا الاعتبار المتقدم تلخص وظائف اللغة فيما يأتى :

- ١ - تخرج بالفكرة من ذهن صاحبها حيث كانت خافية مستترة ، إلى عالم الحس والإدراك الخارجى فتترجمها فى صورة بارزة ذات كيان ومعالم . فالإنسان تحظر بذهنه فكرة من الأفكار التى يرحى بها مظهر من مظاهر الحياة أو يحركها

(١) على عبد الواحد واني ، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل ، دار الفكر العربى ،

مؤثر من مؤثرات البيئة فتظل كامنة خفية حتى يصوغها صاحبها ويرتب عناصرها في كلمات وجمل وينطق بها شفاهاً أو يدونها رموزاً ، حينئذ تتضح أبعادها وتتحدد معالمها الدالة عليها فتعرف عنه . وبهذا يتمكن الفرد من أن يسأل غيره ، ويحجب عن سؤاله ، ويصدر الأحكام المختلفة ، ويعبر عن أحزانه وآلامه ، ويصور مشاعره واتجاهاته الفكرية والاقتصادية والدينية وما إلى ذلك .

٢ - نفتح أمام الإنسان صفحة أفكاره فيستريح لأنه أطلق مكتوماً يطلب الإفراج عنه وأبان عن نفسه أمام نفسه وأمام الآخرين . فالفرد إذا عنت له حاجة من الحاجات ، ولتكن كتابة موضوع سياسى ينشر على الناس فإنه يقرأ حول هذا الموضوع مثلاً ، ويناقش غيره فيه ليستطلع الآراء المختلفة فتتكون لديه الأفكار التى تظل حبيسة ذهنه قلقمة متأرجحة حتى تتاح له الفرصة فيجلس إلى مكتبه وينفث تلك الأفكار عبارات مكتوبة ذات أسلوب خاص فيشعر بالراحة النفسية والمتعة الشخصية ، لأنه أشبع حاجته واطمأن إلى وضع الصورة الفكرية التى كانت تملأ ذهنه دون تحديد محسوس . وفوق ذلك فإن انفتاح صفحة الأفكار وتجسدها أمام صاحبها ييسر له استرجاعها والإمعان فيها وتقليب وجوهها المختلفة بما يسمح بتعديلها وتجويدها كلما نظر إلى الرموز التى تصورها فاستوحاها أبعاد هذا التعديل وذلك التجويد .

٣ - تقف الإنسان على أفكار غيره من الناس وتصله بمكنونات نفوسهم ونتائج أعمالهم ، ومن ثم :

(أ) يستمتع بما يعرفه عن الآخرين إن كان يتلعم وطبيعة ما يهواه ويميل إليه ، كأن يستمع إلى قصيدة شعرية تعجبه معانيها ويستلذ أخيلتها وما تتضمن من صور بلاغية .

(ب) ينتفع بما سبق به غيره فى التكيف لمطالب الحياة أو التزود بجديد من العناصر الثقافية . فالإنسان يقرأ الكتب ويستمع إلى الناس فى أحاديثهم

العادية ومحاضراتهم العامة والخاصة ليضيف إلى قيمه ومثله ومفاهيمه وليستزيد معرفة تعينه على مواجهة حياة العمل والكفاح . والتلميذ يأخذ عن مدرسه بطريق اللغة ما انفرد به من أفكار ومعلومات يستخدمها حين يباشر مهام العمل أو الوظيفة التي يسندها إليه المجتمع . والأطفال تتعلمون بوساطة اللغة عن آباؤهم عادات المجتمع المرغوب فيها والمهارات العديدة التي ينبغي لهم أن يكتسبوها ، وهكذا .

(ج) يكون مع غيره من أفراد مجتمعه وحدة ثقافية تجمع بينهم وتوجه سلوكهم وتوحد مشاعرهم وأهدافهم في داخل الوطن وخارجه ، وذلك عن طريق تبادل الآراء والأفكار لفظاً وكتابة ، ومن ثم تيرابطون وتقوى بينهم الصلات ، ويزداد تماسكهم الاجتماعي . فلولا اللغة لكان من الممكن أن يعزل الناس بعضهم عن بعض ، ويترجم كل فرد إلى ما يعنيه هو ويحقق نفعه ؛ لأنه لا يعرف عن الآخرين شيئاً ولا يحس بجوانبهم ومآربهم في الحياة . وبهذا تتعارض الرغبات ، وتتضارب ألوان السلوك ، وتنهال المصالح الاجتماعية ، وتنفك الروابط الإنسانية، ويتعذر قيام المجتمعات ، وتغول الغوائل الثقافات ومنايع الحضارة في الأوطان .

(د) يتصل بالتراث البشري والحضارات الإنسانية عبر الأمم والعصور، فياللغة تأخذ أمة عن غيرها معارفها ومعلوماتها ونتائج أفكارها وبحوثها ، وباللغة كذلك ينتقل تراث الأمة الواحدة الفكرى عبر أجيالها المتعاقبة . وبذا يستكمل اللاحق ما بناه السابق أو يعدل فيه ويحسنته فيسير التطور الحضارى مساره الطبيعى ويتدرج العالم فى سام الارتقاء ؛ إذ لو لم تكن للإنسان هذه الوسيلة التى تسجل آماله وآلامه وتصور بنات أفكاره لكان من الميسقين أن تتعثر خطوات تطوره وتقف معالم نهضته دون هذا المظهر الذى نراه اليوم بكثير جداً .

٤ - تحقق للأفكار والمعارف كياناً متميزاً حين تضعها في تلك القوالب اللغوية المتميزة ، ومن ثم تكتسب القيمة في نظر الفرد والجماعة . فالفكرة وهي في عالم الغيب لا يحس بها غير صاحبها ، بل ربما لا يحس بها صاحبها الإحساس الكامل ، فن الطبيعي إذاً ألا يقدرها في هذه الحال أحد أو يستشعر قيمتها ، مثلها مثل الوردة التي إن لم تفتح أكامها وتشكل أوراقها ويضع غيرها فإن إنساناً لا يحس بجمالها أو يقدر مكانتها في عالم الوجود .

فاللغة من حيث هي أداة لإبراز الفكرة وإعلان ميلادها تصنع الوجود ، لأن كل شيء فيه أساسه الفكرة . وكلما ارتقت الأفكار نهض الوجود وارتقى جانبه ومستته يد صناع بالبناء السوي والعمل المتحضر ، وليس من شك في أن نظام العالم وما فيه من إبداع وإتقان يقوم أساساً على مفكر يطرح في الوجود فكرته باللغة ، ومنفذ يتلقف تلك الفكرة بما يعرف من اللغة أيضاً فيصوغها عملاً وسلوكاً ومنهجاً للحياة ، وإذا لم يكن كل مفكر بالضرورة مقتدرًا على تنفيذ فكرته وكل منفذ بالضرورة مستطيعاً صياغة المادة الفكرية التي ينهض بها عمله ؛ ما كان هناك بناء حضارى ، فنحن إذاً في بناء العالم وصنع المجتمعات ونسج معالم الحضارة محتاجون إلى أداة للأفكار تبرز بها كى تصاغ في أتون التطور مثلاً جديداً .

٥ - ترتقى بالقدرة العقلية أو الذكاء لدى الإنسان حيث الطفل يولد ذا مقدرة عقلية محدودة فيتفاعل مع عناصر البيئة التي تحيط به ويتعلم الكثير مما يحتاج إليه في حياته عن أمه وأبيه وإخوته ومدرسته متخذاً اللغة سماعاً ونطقاً وكتابة خبير معتمد له في ذلك . ومن ثم يكبر عقله وتزداد قدرته على التصرف في المواقف التي تواجهه وتفتح أمامه سبل التفكير السليم في حل المشاكل التي تعترضه وإدراك العلاقات التي تربط بين الأشياء . وقد يقال إن القدرة العقلية فطرية لا دخل للاكتساب فيها فكيف تعمل اللغة - وهي مكتسبة - على ارتقاها ؟ وجوابنا عن هذا السؤال أنه إذا غضضنا الطرف عن يرى من علماء

النفس أن الذكاء أو جزءاً كبيراً منه اكتسابي ؛ فإنه واقعاً وبلا شك يزداد كيفاً بفعل العوامل الاكتسابية الأخرى ومنها اللغة إذا واثمها ظروف التأثير الجيد ؛ بدليل أن الشاب يؤدي بنجاح من اختبارات الذكاء ما يعجز عنه طفلاً ، وبدليل أن نسبة ذكاء الصم والبكم وجدت أقل منها في العاديين . فالثابت « أن القدرة على تحصيل اللغة واستعمالها استعمالاً ناجحاً يرتبط ارتباطاً شديداً بالذكاء » (١) . ولقد دلت الدراسات التجريبية الحديثة أن التعليم المبكر - واعتماده الأول على اكتساب المعارف والخبرات عن طريق الاحتكاك اللغوي - يرتفع بنسبة الذكاء لدى الأطفال الأسوياء كما أنه ينهض بمستوى المتأخرين عقلياً (٢) .

٦ - بها تصور الأفكار تصويراً مبدعاً ، وتوضح المعاني في القوالب الفنية من الألفاظ والعبارات فتأخذ بالألباب وتؤثر في الناس التأثير الذي يقصده مصورها ، فيقود بها إلى رأى أو يخضع لاتجاه أو يحقق هدفاً ، وما الثورات في أساسها إلا حصائل التأثير والتأثر اللغوي بما يخطب به مفوه أو ينشده شاعر أو ينشره في الناس كاتب محبوبك العبارة مليء المقالة بالأحاسيس والانفعالات ولواعج الأشجان ، أو حتى بما يندأكره الناس من حديث يحرك العواطف أو يتناقضه من رسائل ونشرات تثير فيهم بأسلوبها الجيد حب التضحية والتفاني في سبيل خدمة مبدأ أو تغيير وجه من وجوه الحياة البغيضة .

٧ - يعتمد عليها المجتمع في تحقيق أهدافه وإنجاح مراميه واتجاهاته سياسية واجتماعية واقتصادية . وهذا هو المجتمع العربي يحكى تاريخه صوراً من النضال اللغوي الذي كان له دور فعال في تقرير أهدافه وبلورتها في أذهان العامة حتى آمنوا بها واستلذوا في سبيلها التعذيب والتشريد بل الموت والقضاء .

(١) عبد العزيز القوصي ، وآخرون ، اللغة والفكر ، الطبعة الاسرية بالقاهرة ، ١٩٤٨

Paul A. Witty, "Studies of Early learning : Their Nature and Significance. *Education*. Vol. 89, (September-October, 1968), pp. 4 - 10.

ولقد سجل التاريخ بحمال الدين الأفغانى فعل السحر فى إلهاب نفوس تلاميذه وبث روح الوطنية فيهم والثورة على الظلم والظالمين بما كان يقوله لهم فى دروسه ويحدثهم به فى لقاءاته معهم ، وكذلك فعل مع مصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول وأحمد لطفى السيد وغيرهم من أرباب اللسان والقلم الذين جاهدوا بالأداة اللغوية قبل أى أداة أخرى فى سبيل انتصار الحق الوطنى وتحقيق أهداف الأمة .

والمجتمع العربى الناشئ اليوم ينتفض انتفاضة العزة وتبها لتبوء مكان مرموق تحت الشمس بما يستهدف من أهداف نابعة من حياته الجديدة التى تحول إليها . فهو يستهدف الوحدة العربية ، وليست هذه الوحدة شعاراً يكنى العرب ترديده وإنما هى سلوك وعمل ذو هدف واحد وثقل موحد فى اتجاه لا يختلف فيه مواطن عن مواطن ، ومن ثم يحتاج إلى بيان وشرح ، ويقضى من الطليعة الذين ينادون به أن يملأوا بميزاته وقيمه رموس عامة الناس فى أنحاء الوطن العربى الكبير ، يحتاج إلى التذكير بماضى العرب يوم كانوا أمة واحدة يخشى بأسها كل طامع وتختال هى بقوتها وبأسها الشديد ، يحتاج إلى توعية وهدى أساسهما اللغة بفنيها الخطابية والشعرية والكتابية ليكون ذلك كله سناد الإيمان بوحدة العرب . وإنه لحق أن يظهر أول الطريق وتستبين مواقع الخطأ نحو تحقيق هذه الغاية بالترديد والإفاضة الكلامية فى مختلف المواقف .

وهو يستهدف التصنيع واستخراج كنوز الأرض من باطنها ليغنى ويسعد أعضائه ، وليس ذلك بالتمنى وإطلاق البخور كما يفعل السحرة والمشعوذون وإنما هو علم يعلم وقوانين ونظريات وأبحاث وضعها وأجراها أهل الخبرة والمعرفة وسبقت بها الأمم الناهضة وتحتاج إلى إيضاح وتفسير ، وعلينا إذاً أن نركب متن اللغة لنندرك كنه هذا العلم ونكشف عن أبعاد هذه القوانين وتلك النظريات ونستقى من هاتيك البحوث والتجارب . ولست بذلك أغض الطرف عن كثير من مقومات النجاح الأخرى فى هذا الميدان ولكنى أقول : إن مفتاح هذا النجاح على الأقل

أستاذ يشافه من يعلمه بلفظه وحديثه ، ومؤلف يعطى سره لمن يقرؤه ، ونشرات ودوريات تبوح بما تخفى وتظهر ما تبطن لمن يعرف اللغة التي كتبت بها .

وهو يستهدف تجنيد العلم لخدمة المجتمع أولاً ، وذلك يقتضى أن تجمع المشاكل الاجتماعية لتصهر في بوتقة التجريب ، ويقتضى تجهيز النظريات العلمية ونتائج البحوث التي تعين على حل هذه المشاكل وتعبد الطريق أمام سواء المجتمع وتخليصه من رواسب التخلف والجمود . وليس من شك في أن هذا كله يضيع هباء إن لم تكن هناك لغة ؛ إذ بها - كتابة أو مشافهة - تجمع المعلومات المتعلقة بمشاكل المجتمع ، وبها - قراءة وكتابة ومشافهة - تجهز النظريات وتطبق النتائج وتختبر صحة الحلول . ثم أليس العلم بمعلم وكتاب ، ثم متعلم في أمس الحاجة إلى أن يعرف لغة هذا المعلم وذلك الكتاب ؟ !

وهو يستهدف الإيمان بالقيم الروحية دوافع للسلوك الطيب وبانية للحياة الكريمة ومعالم الطريق نحو هداية الإنسان وإضاءة حياته الخلاقة ومنحه الرفعة وخير الغايات والمقاصد . وذلك لا شك يقتضى أول ما يقتضى تفهم روح الأديان السماوية وما تدعو إليه من فضائل وتحث على اعتناقه من مبادئ ومثل عليا . واللغة في هذا عماد لا يستغنى عنه ؛ فيها تقرأ الكتب المقدسة وأحاديث الرسل الكرام ، وعن طريقها يتناقل الناس أخبارهم ، ويفهم متعلمهم من معلمهم حقائق الأديان وأنها في جوهرها ثورات على طريق الشرف الإنساني وسعادة دنياه وآخرته . إن اللغة سواء أكانت منطوقة أم مكتوبة من أقوى الوسائل إلى دحض الضلال في التأويلات الدينية الفاسدة التي تراد للخدمة الأغراض الشخصية أو الرجعية ورد الاعتقاد إلى الدين من حيث هو بكل ما جاء به قيمة تخدم الصالح الإنساني العام ولا تحيد أبداً عن إسعاد البشر كل البشر في كل وقت وفي كل مكان . وحيثئذ يعلق الناس بالدين السماوي والقيم الروحية هداية لهم وملجأ الأمان من الشرور .

وهو يستهدف قدسية العمل حيث العمل لم يعد في الوقت الحاضر — أو هكذا ينبغي ألا يعود في مجتمع يريد أن يتطور وينهض — عملاً يدوياً يعتمد فقط على الملاحظات العابرة والتقليد الأعمى وإنما أصبح عملاً له أسس تدرس ونظريات تمحص وتفهم في أي مجال من مجالات الحياة سواء منها الصناعية أو الزراعية : فالصناعة اليوم ليست حرفاً يورثها السلف للخلف وإنما هي علم وفن ونظرية وتطبيق . والزراعة قد تطورت فاعتمدت على الآلة واستعانت بنتائج البحوث الزراعية في التطبيق وأصبحت تحتاج إلى العامل الماهر المثقف والمهندس الخبير العليم . ومن ثم فالعمل بهذا المعنى محتاج إلى الثقافة والمعرفة اللذين لا يستغنيان عن الاحتكاك الغوي حديثاً وسماعاً وقراءة وكتابة .

وهو يستهدف القيادة الجماعية والعمل التعاوني . ولهذا وذلك أصول مرعية وقواعد ينبغي أن تدرس وتوضع من أجلها المناهج الدراسية والمقررات العلمية حتى يتحقق لمجتمعنا ما يصبو إليه من اعتزاز وارتفاع . إذ لن تسلم له نهضته بدون التضامن الصادق والبعد عن الفردية والتقاء الجميع رئيساً ومرعوساً بدأً وأحدة في حمل الأمانة وضمان الدفع ودوام الإخلاص والوقوع على الكفايات في مواقع الأعمال حتى ترسو السفين على بر الأمان والفلاح . وهل بغير اللغة — وهي صلب الدراسة وقوام القوانين وأداة الفهم والتفهم — تقوم للقيادة الجماعية قيامة ويصلب للعمل التعاوني عود في مجتمع بهذا التعقيد الحضارى الذى نراه ؟

وهو يستهدف الحياد الإيجابي والسلام العالمى والحرية السياسية والاجتماعية وتربية التفكير السليم واحترام الملكية العامة وحرية التعبير عن الفكرة والنقد البناء وعمومية التعليم والتثقيف وغير ذلك من الأهداف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى تتصل بطبيعة هذا المجتمع وعناصر الحياة العربية التى تطور إليها واتخذها سبيلاً حتمياً لجر عثرته وانتشاله من تخلفه ورقدته ، ولا يخفى أن جميع هذه الأهداف تحتاج إلى اللغة عنصراً هاماً تمتطيه لتنتشر وتسكن القلوب والأفهام ويتحقق بتحققها النجاح الأكبر لمجتمع العرب العظيم .

٨ - تقضى حاجة المجتمعات المتطورة والثقافات العربية وذبوع التعليم على أوسع نطاق . فهي عماد الإعلام إذا تقدمت وسائله ، فأصبح الناس - بعد أن كانوا يرون ويسمعون ما تنقله محطات الإرسال الأرضية - يستقبلون ما تأتي به محطات الإرسال « التلستارية » من الفضاء الخارجي ، فتنصل مشارق الأرض ومغاربها ببرامج تلفزيونية في وقت إرسالها دون أن يكون لبعده المكان حساب إلا في تقدير الوقت المناسب لإذاعة مثل هذه البرامج . وهي عماد أيضاً إذا تعددت سبل التعليم الرسمي ولم يعد مقصوراً على المدرسة بل شاركها فيه المذيع والتلفاز والمراسلات . وهي الحاجة الضرورية إذا عمقت جذور العلم والتكنولوجيا فأخرجت الإنسان من أرضه طائراً عبر الفضاء الخارجي حتى وصل إلى القمر وأصبح الآن يستعد للرحيل إلى بتمية الكواكب كشافاً عن مجهولها واستثماراً لخيرها وكنوزها ، وهي وسيلة الإنسان في اتصاله بأخيه الإنسان إذا جاوز في الاتصال طريق الرسالة أو الهاتف أو البرق إلى وسائل أخرى تمكنه من أن يحاذيه وهو هناك قاب قوسين أو أدنى من القمر . وهي ما لا يستغنى عنه أى عضو من أعضاء المجتمع مهما ازدحم بساكنيه واتسع عمراناه وانتشرت مدنه وقرأه وتحضرت وجوه الحياة فيه ، غاية الأمر أن هذا وذالك يازم اللغة أن تواكب تطور الحياة الاجتماعية وتساير النهضات العلمية الحديثة . ولعل من هذا القبيل ما نسمع به في مجتمعاتنا العربي هذه الأيام من وجوب استخدام لغة الرياضيات الحديثة ، ولعل منه كذلك ما يقوم به المجمع اللغوي من محاولة إفصاح صدر اللغة العربية لتقبل المصطلحات العلمية الحديثة والمهم على تداولها بشتى الطرق حتى لا تتخلف الأمة العربية عن متابعة السبق العلمى في عصر اشتد فيه التنافس على العلم والعلماء .